وما من شك في أن المشهد الذي يكتشف فيه كليانت ان اباه يمارس الربى ، يمتاز بالقوة وشدة التأثير . وفيه تبلغ المسرحية قمة تطورها . لقد كان كليانت مدمنا على القمار تضطره الخسارة الى الاستدانة فيوسط أحد معارفه للتوصل الى أحد المرابين . ويكتشف أن المرابي والده . وتنشأ بينهما مشادة يكشف من خلالها موليير ، الى جانب البخل ، التربة التي تغذي هذا العيب والتي لاتنحصر في حب النقود وانما تتجلى أيضا في الوسائل المخجلة التي تجمع بواسطتها هذه النقود . وهنا يلقي موليير على لسان كليانت كلمته الشجاعة : « من في نظركم اشد اجراما ؟ أهو من يضطره الفقر الى الاستدانة ، أم ذلك الذي يسرق النقود التي لايجد لها مكانا يخفيها فيه . » .

ان موليير لم يقصد بذلك القول طبعا ماقصده فيما بعد الاشتراكي الفرنسي برودون حيث قال « الملكية الخاصة سرقة » فقد كان الفكر السياسي في عصر موليير بعيدا عن هذا التصور ، ولكن عبارة كليانت ، مهما كانت معتدلة دوت في ذلك العصر بقوة كافية .

لقد أدخل الكاتب في سلسلة أحداث المسرحية المنافسة الغرامية بين الأب والابن فهما يحبان فتاة واحدة هي ماريانا . ان ذلك يبدو مصطنعا بعض الشيء .ولكن موليير يلقي أضواء اضافية كثيرة على بخل العجوز من خلال ذلك الحب .

فأرباغون الذي يحلم بتزويج ابنته لأي رجل شريطة أن يتم ذلك دون تكليفه دفع مهر لها يحلم ، في الوقت نفسه ، بالحصول على مهر مقابل زواجه من ماريانا .

وتبلغ أحداث المسرحية ذروتها في (منولوج) أرباغون الذي يفقد صوابه بعد أن يسرق منه صندوقه المملوء بالذهب . انه يشك في كل انسان وكل شيء حتى في نفسه . وموليير لايصور لنا هذا المشهد بألوان تراجيدية ،فالبخيل يظل فيه مضحكا وتافها ثم تنتهي المسرحية نهاية مرحة . الشباب يحققون امنيتهم بالزواج وماريانا وفاليير يجدان أباهما ، وحتى أرباغون ينال في نهاية المسرحية قسطا من السعادة اذ تعود اليه نقوده المسروقة فيذهب عن خشبة المسرح مطلقا صيحته الجذلى : « فلأسرع الى صندوقي الحبيب »

لقد كان موليير في مسرحيته « البخيل » وفي جميع مسرحياته الاخرى متفائلا مؤمنا بانتصار الخير على الشر . ومهما كان العيب بشعا فان البداية الخيرة في حياة المجتمع أقوى منه في نظر هذا الكاتب المسرحي الكبير .